﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تتابعُ الموحى به من الوعيد إلى تعظيم المساجد

لمّا سبقَ ذكر جُملٍ ممّا أوحى الله لنبيه ﷺ؛ أعقبَ بذكر جملةٍ أُخرى من الموحى به، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَدۡعُواْ﴾: أصلُ الدّعاءِ هو أنْ تُميلَ الشَّيْءَ إليكَ بِصَوْتٍ وكلامٍ يكونُ منكَ[1]، ومعناه المحوري: جذبُ الشيءِ، أو محاولةُ ضمّه إلى حيِّزٍ أو أمرٍ، كجذبِ النّاس إلى الوليمةِ والاجتماع، ومنه الدعاءُ بمعنى التضرّع إلى الله ﷻ في طلبِ أمر، والرَّغْبَةُ إلى الله تعالى فيما عندَه من الخيرِ والابتهال إليه بالسُّؤالِ، والدعاءُ: العبادة؛ لأنّ العبادةَ تَقرُّبٌ إلى المعبودِ، واعتزاءٌ إليه واستكفاءٌ به[2]، وهذا المعنى الأخير هو المراد في الآية، أي: معنى ﴿لَّا تَدۡعُواْ﴾: لا تعبدوا[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إعلانٌ بأنّ المساجِدَ أعظَمُ محالِّ العبادةِ، وأنّها مَبنيَّةٌ على الإخلاصِ للهِ

يقول تعالى ذكره لنبيه محمّد ﷺ قل: أوحي إليّ أنَّ جميعَ المساجِدِ الَّتي هي بيوتٌ لعِبادةِ اللّهِ تعالى هي للّه تعالى وحْدَه، فلا تَدْعوا أيها الناس مَعَ اللّه أحَدًا، ولا تشركوا به فيها شيئًا، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة التأكيد بـ(أنَّ):

توكيدُ استحقاقِ المساجدِ للهِ وحده

التعبيرُ بلفظ (أنَّ) وبالجملة الاسمية يفيدُ توكيدَ استحقاقِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دعو).
(2) الزبيدي، تاج العروس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (دعو).
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 253.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 665.

المساجد لله وحده واختصاصها به سبحانه، فما كان بناؤها إلّا لعبادته وحده، وفي هذا التوكيد تعريضٌ بالمشركين وما كانوا عليه من عبادة غيرِ الله في المسجد الحرام، ونصب التماثيل والأصنام[1].

سرّ التعبير بالمساجد دون بيوت الله:

شمولـيَّـةٌ في مواضعِ العبادةِ والسكينةِ النفسيةِ الجسديةِ

اختارَ البيانُ الحكيمُ لفظ ﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾ بدلًا من (بيوت الله)؛ ليشملَ بذلك جميع أماكن السجود، سواء في العالم الخارجي على الأرض، أو في البُعد النفسي والروحي داخل الجسد، كما أشارَ إلى ذلك سعيد بن جبير وطلق بن حبيب[2]، وأمّا لو اختيرَ لفظ (بيوت الله)؛ لاقتصرَ المعنى فقط على المباني المخصّصة للعبادة، دون شمولية الأماكن الروحية.

دلالةُ التّعبير بالجمع في ﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾:

الجمعُ في (المساجد) بين عمومِ الوعيد وتعظيمِ الحرم الشريف

بناءً على القولِ: إنَّ المرادَ من لفظ ﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ هو المسجدُ الحرام، يكون التعبير عن المفرد بالجمع في الآية؛ لإفادة العموم، فيدخل كلُّ من يفعل مثل فعل المشركين في الوعيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾ [البقرة: 114]، ويمكن أنْ يكون الجمعُ لتعظيم المسجد الحرام، فهو قبلةُ المساجد[3]، ولأنَّ كلَّ ناحيةٍ منهُ مسجدٌ له قبلةٌ مخصوصةٌ[4].

دلالة تعريف ﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾:

المساجدُ كلُّها لله بين عمومِ التوحيدِ وتشريفِ الحرم

الألف واللامُ في لفظِ ﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، إمّا جنسيّةٌ، أيْ: جنسُ المساجدِ، سواء قُصِدَ بها مواضع

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 334.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 489.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 629.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 46.

السجود، وهي المواضعُ والبيوت التي بُنيتْ للصلاة والعبادة وذكر اللّه[1]، أو جنس الأعضاء التي يُسجد بها للّه، والجنسيّةُ أنسبُ للسياق الذي فيه التحذير من دعاء غير اللّه في أيّ موضعِ عبادة[2]، أو عهديّةٌ، أي: المساجد التي كانوا يتردّدون عليها، وهي هنا المسجد الحرام؛ لأنَّ المشركينَ كانوا وضعوا فيه الأصنام والأنصاب، وجعلوا الصنم (هبل) على سطح الكعبة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: 114]، يعني بذلك المشركين من قريش[3].

سر تخصيص ذكر المساجد مضافًا لنفسه سبحانه:

ذكرَ البيانُ القرآني المساجد دون غيرها، فقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾؛ لكون المساجد هي رمزُ العبادة الخالصة، فهي الأماكن المخصصة لتوحيده وذكره وعبادته سبحانه؛ ولهذا أضافها لنَفْسِه؛ تشريفًا لها، وللدلالة على اختصاصها به وحده، وتنزيهها عن الشرك، وعن غيرِ العباداتِ، مِنَ البَيعِ، والخُصوماتِ، وإقامةِ الحُدودِ.

المساجدُ رمزُ العبادة الخالصة لله وحده دون غيره

دلالة اللام في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾:

اللامُ في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ للملكِ والاختصاص والاستحقاق، والمعنى: وأنّ المساجدَ مختصَّةٌ باللّه تعالى[4]، وأنّ اللّهَ مستحقها دون الأصنام والأوثان، فمن وضعَ الأصنامَ في مساجدِ اللّه؛ فقد اعتدى على اللّه، فالمساجدُ لا يصلحُ فيها إلّا عبادةَ اللّه تعالى وحده دون سواه[5].

المساجدُ مختصةٌ باللّه تعالى، فلا شريكَ له فيها

سرُّ التّصريح بالاسم الجليل ﴿لِلَّهِ﴾:

آثرَ البيانُ القرآني التعبير بالاسم الجليل الجامعِ لصفات

الاسمُ الجليل في سياقِ التوحيد والاختصاص بالعبادة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 665.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 673 - 674، والبقاعي، نظم الدرر: 20/ 489.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 240.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 489.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 102، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 240.

الجلال والكمال؛ لأنَّ السياقَ حديثُ هيبةٍ وجلالٍ وملكٍ واستحقاقٍ إلهي للعبادة في المساجد - التي هي أشرفُ بقاع الأرض وأعظمها - لا لأصنامهم، فالمساجدُ مختصَّة بالملك الأعظم[1]، الجامع لجميع صفات الألوهية الذي لا يُعبد بحقٍّ إلا هو، ولذلك صرّح في الآية ذاتها كذلك بالاسم الجليل، فقال: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾.

دلالة التعبير بالفاء في قوله: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ﴾:

اختصاصُ المساجد لله تعالى لا ينبغي أن يُعبد فيها أحدٌ سواه

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ تفريعيّة؛ إذْ فرّعَ على اختِصاصِ كَونِ المساجِدِ للّهِ النَّهي عن أن يَدعوَ المشركون مع الله أحَدًا، وهذا إلزامٌ لهم بالتَّوحيدِ بطَريقِ القَولِ بالموجَبِ؛ لأنَّهم كانوا يَزعُمون أنَّهم أهلُ بَيتِ اللّهِ، فعِبادتُهم غيرَ اللّهِ مُنافيةٌ لزَعْمِهم ذلك[2]، وعلى القول بحذف لام جرٍ قبل (أنَّ)، وأنّ المجرور مقدّمٌ على متعلّقه للاهتمام، والتقدير: فَلا تَدْعوا مَعَ اللّه أحَدًا في المَساجِدِ؛ لأنَّها للّه خاصَّةً ولِعِبادَتِهِ، تكون الفاء سببية[3].

دلالة النهي في قوله: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ﴾:

تحريمُ عبادةِ غير الله ودعائِه مطلقًا وبشكل أخصّ في المساجد

دلّ النهي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾، على تحريم عبادةِ غير اللّه ودعائِه مطلقًا، وبالأخصّ في المساجد، وهو نهيٌ عن كلّ أنواع الشرك، وفيه توبيخُ المشركين في دعواهم مع الله تعالى غيره في المسجد الحرام، وفي اعتدائهم بذلك على حقّ الله وتصرُّفهم فيما ليس لهم[4]، وفي ضمن هذا النهي أمرٌ بذكر الله ودعائه[5].

دلالة التعبير بـ﴿مَعَ﴾ دون (اللام):

المبالغةُ في النهي عن جعلِ أي أحدٍ مصاحبًا لله في العبادة

عبّر البيانُ القرآنيُّ بـ﴿مَعَ﴾ التي تفيدُ المصاحبة في قوله

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 489.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 241.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 300.
(4) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 4/ 406، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 240.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 674.

تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، ولم يقل: (لا تدعوا لله أحدًا، أو لا تجعلوا الدعاء لأحد غير الله)؛ للمبالغة في بيانِ فظاعة الشرك؛ لأنّهم حين يدعون مع الله أحدًا، فإنّهم يضعونه موضعَ المساواة والمنازعة والمزاحمة والمشاركة والمصاحبة لله في التصرّف أو الإجابة.

سرّ تقديم شبه الجملة ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾:

قصرُ العبادةِ على المستحقّ لها وحده سبحانه

تقديم شبه الجملة: ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ على المفعول به ﴿أَحَدًا﴾، في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ يفيدُ القصر والاختصاص، أي: لا تُشركوا مع الله أحدًا في الدعاء والعبادة، خصوصًا في المساجد، فهي مواضع لا يليقُ أنْ يُعبد فيها إلا الله وحده[1].

دلالة التّعبيرِ بلفظ ﴿أَحَدًا﴾ منكرًا:

نهيٌ شاملٌ لكل ما يُعبد من دون الله

جاء تنكير لفظ ﴿أَحَدًا﴾ في سياق النهي ليفيدَ العموم، أي: لا تدعوا مع الله شيئًا كائنًا من كان، لا إنسًا ولا جنًّا، ولا شمسًا ولا صنمًا، ولا غير ذلك، فهو نهيٌ شامل لكل ما يُعبد من دون الله، ونهيٌ عن كلّ أنواع الشرك.

سرُّ التّعبيرِ بقوله: ﴿أَحَدًا﴾ دون غيره:

تأكيدُ عموم النهي عن الشرك بالله سبحانه

لم يقلِ البيانُ القرآني: (فلا تدعوا مع الله معبودًا) أو (إلهًا) أو (ربًّا)، بل استخدم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾؛ ليؤكِّد العمومَ والشمول، خاصّة وأنها جاءت في سياق النهي؛ إذ تُستعمَل كلمة (أحد)، في اللغة العربية للتعبير عن الاستيعاب والشمول عند النفي؛ لذلك تشملُ هذه الكلمة كلّ ما يُدعى مع الله، نبيًّا، أم وليًّا، أم ملكًا، أم صنمًا.

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 334.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الدعاء والعبادة:

الدعاءُ أعمُّ وأوسعُ دلالةً من العبادةِ؛ إذ يشملُ معنى العبادة وغيرها، فالمعنى المحوري للدعاء: جذبُ الشيءِ، أو محاولةُ ضمِّه إلى حيّزٍ أو أمرٍ، ومنه الدعاءُ بمعنى التضرُّعِ إلى اللّهِ ﷻ في طلبِ أمرٍ، والرَّغبَةُ إلى الله تعالى فيما عنْدَه مِن الخيرِ والابتِهال إليه بالسُّؤالِ، والدعاءُ: العبادةُ؛ لأنّ العبادةَ تَقرُّبٌ إلى المعبودِ واعتزاءٌ إليه واستكفاءٌ به، فهي من الجذبِ والانجذابِ، ويأتي بمعنى النداء استلفاتًا أو استحضارًا أو استنهاضًا[1]، أمّا العبادة؛ فمعناها إظهارُ الطاعةِ مع الخضوعِ والتذلُّلِ لله، ولا يستحقُّها إلّا من له غايةُ الإفضال[2]، وقد ناسبَ هنا استعمال لفظ الدعاء في سياق النهي؛ لأنَّه أعمُّ وأبلغ في النهي؛ إذ يشملُ النهي عن الدعاء والتضرّع والرغبة بالسؤال والطلب من غير الله تعالى، ويشملُ أيضًا النهي عن عبادة غيره سبحانه.

الدعاءُ أعمُّ من العبادة، فالنهيُ عن دعاء غير الله يشملُ النهي عن العبادة أيضًا

(1) الزبيدي، تاج العروس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (دعو).
(2) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والجوهري، الصحاح: (عبد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"